حَوْل مؤرِّخ أَندلسي مجهول

محمد ابن شَرِيفة

ظهر منذ شهور السِّفْر الثامن من كتاب «الذيل والتكملة» لابن عبد المَلِك المرّاكُشي، وبظهوره تم طبع ما هو موجود الآن من هذا الكتاب الذي يُعتبر أَكبر معجم قديم في أَعلام الأندلس والداخلين إليها حتى آخر القرن السّابع الهجري. وهو يمثّل أَحد الجهود المغربيّة الضخمة القديمة في احتضان التراث الأندلسي وخدمته، هذه الجهود التي ما تزال مبذولة وموصولة إلى يومنا هذا.

وليس من موضوعِي الحديث عن قيمة كتاب ابن عبد الملك ودوره في إغناء تاريخ الأندلس هنا، ويمكن الرجوع في هذا إلى المقدّمة التي وضعتُها بين يدي السِّفر الثامن[1]، ولكني سأتحدّثُ عن مؤرخ أَندلسي مجهول يرجع الفضل إلى ابن عبد المَلِك

---

1) انظر مقدمة السّفر الثامن من «الذيل والتكملة»، تحقيق الدكتور محمد بنشَريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربيّة، الرباط، 1984.

في حفظ ذِكره، وبقاء اسمه وأَثره، وأَعني المؤرخ أَبا محمد عبد الله بن عبيد الله الحُكَيِّم. وأَرجو أَن يكون في هذا المقال ما يلقي ولو بصيصاً من نور على هذه الشخصية التاريخية المجهولة، وأَنا أَعترف أَن المادة التي أمكن الحصول عليها في الموضوع مادة متواضعة بل إنها هزيلة.

من هو هذا المؤرخ المجهول المدعُو بالحُكَيِّم ؟

لقد ترجم الزُّبَيْدِي في طبقات النحْويين واللُّغَويين لهذا الرجُل فقال : «الحُكَيِّم الأزدي : هو عبد الله بن عُبيد الله، كان ذا حظٍّ من عِلم اللّغة وحفظ للأخبار والأنساب، وكان يقرض الشّعر الحسَن، وكان ذا تعصّب شديد للقحْطانية.

وتُوفّي منتصفَ شهر رمضان سنة إحدى وأَربعين وثلاثمائة[2].»

وكان ينبغي أَن يترجم له ابن الفَرضي، فهو على شرط كتابه، وقد ترجم لعدد من طبقته نقلاً عن الزُّبَيْدي مع زيادات من عنده أَحياناً. لكن ابن الفَرضي لم يفعل، ولا نعرف السبب في إعراضه عن ذكره وعدم نَقْله عنه. ولما أغفله ابن بَشْكُوال كذلك، فقد استدركَه عليهما ابن الأَبَّار وترجم له في التكمِلة، لكنها ترجمة مطابقة لترجمة «الطبقات» المذكورة، ولا شكّ في أَن ابن الأبّار نقلها عن الزُّبَيْدي وإن لم يذكر ذلك، والإضافة الوحيدة التي أتى بها ابن الأبّار هي ضبط شهرة الرجل هكذا : «يقال له الحُكَيِّم بضمّ الحاء وتشديد الياء»[3].

وعلى أَي حال، فالترجمة في المصدرين المذكورين ترجمة موجزة لا تحدّد بلداً ولا تؤرّخ وِلادة ولا تعدّد شيوخاً ولا تلاميذَ ولا تذكُر تأليفاً ولا تسرد نماذج من «الشعر

2) طبقات النحويين واللّغويين للزُّبيْدى، ص : 327، تحقيق الأستاذ أَبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954.
3) التكملة لابن الأبّار، ص : 783، نشر عِزّت العطّار، القاهرة، 1956.

الحسَن» الذي كان يقرضه الرجل، وهي تكتفي بالإشارة إلى معارفه في اللّغة والتاريخ والأدب، وتنعَته بالتعصّب الشديد للقحطانية، ولا عجب في هذا فهو ينتسب إلى الأزد التي فخر بها حسّان بنُ ثابت فقال :

يا بنت آل مُعاذٍ إنّني رجلٌ ... من معشرٍ لهم في المجدِ بُنْيَانُ
إمّا سألت فإنّا معشرٌ نُجُبٌ ... الأزْدُ نَسَبَتُنا والماءُ غسَّانُ

وقال :

فمن يكُ عنّا معشرَ الأزدِ سائلاً ... فنحن بَنُو الغوثِ بنِ زيدِ بن مالِكِ
وزيدِ بنِ كهلانَ الذي نالَ عزّةً ... قديماً دَراريَ النجوم الشّوابِكِ
إذا القومُ عدّوا مجدهُم وفِعَالهم ... وأَيامَهم عند التقاءِ المناسِكِ
وجدْنا لنا فضلاً يقر لنا بهِ ... - إذا ما فخرنا - كلُّ باقٍ وهالِكِ

وقال أيضا :

أَلَمْ ترنا أبناء عمرو بن عامرٍ ... لنا شرفٌ يُرْبي على كُلِّ مَرْتَقِ
رسا في قرار الأَرْضِ ثم سَمَتْ لَهُ ... فروعٌ تُسامي كُلَّ نَجْمٍ مُحَلِّق
ملوكٌ وأَبناءُ الملوك كأَنهم ... سواري نجوم تالياتٍ ونفّق
كجفنةَ والقَمْقام عمرو بن عامرٍ ... وأَبناءِ ماءِ المُزْنِ وابْنَيْ مُحَرِّقِ
وحارِثةَ الغِطْريفِ أَوْ كابن مُنْذِرٍ ... ومثلِ أَبي قابوس ربِّ الخَوَرْنَقِ[4]

4) الإنباه، على قبائل الرواه لابن عبد البرّ، ص 107، نشر مكتبة القدسي، 1350.

ولقد كانت العصبيات القَبَلية والصراعات الدمَوية التي عَرفتها جزيرة العرب والبلدان المفتوحة ـ ومنها الأندلس ـ ما تزال عقابيلها موجودة في عهد الحُكيِّم، وكانت آثارها تنعكس على الشِّعر، فقد ذكر الزُّبيْدي في الطبقات أَن حَرْشَن بن أَبي حَرْشَن «كان شديد التعصب للقحطانية، ودارت بينه وبين أَحمد بن نُعَيْم السُّلَمي في ذلك أَهاج»[5].

وقد ختم ابن حَزم في الجَمْهَرة كلامه عن قبائل العرب بفصل عنوانه : «الكلام في مُفاخرة قَحْطان وعَدْنان» بدأه بفضل القحطانية ولكنه ختمه بتقديم العدنانية، ثم قال : «وأَما في الحقيقة فلا فخر إلاّ بالتقوى. وما عدا ذلك فخطأ ﴿**إنّ أَكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[6].

ونقل المقّري في النِّفْحِ ما يلي : «والقحطانية هم المعروفون باليَمَانية، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المُضَرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الأكثر بالأندلس والمُلْك فيهم أرسخ».

ومهما يكن من أمر، فربّما كان لتعصّب الحُكيِّم للقحطانية أثرٌ فيما وقع من تعتيم على شخصه وكتابه.

ومن الغريب أن الزُّبَيْدِي الذي عاصر الرجل، وكان في طبقة تلاميذه لم يذكر له تأليفاً، واقتصر على تقرير حفظه للأخبار والأنساب.

ومن الغريب كذلك عَدَم وُرود أي إشارة إلى الحُكيِّم أَو تأليفه في الأقسام الموجودة المنشورة من «المقتبس»، ومن الممكن أَن يكون ذِكره في وفيات سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وهي في سِفر من الأسفار المفقودة.

---

5) الطبقات : 287.

6) الجَمْهَرة : 487 ـ 490، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، 1962.

كما نستغرب عدم إشارة ابن الأبَّار إلى تأليف الحُكيِّم وعدم نقله عنه في مؤلفاته التاريخية كالتكملة والحلّة السّيراء وغيرهما، وقد نفسر هذا بأنه لم يقف على تأليفه الذي سنتكلّم عليه.

ولولا أن المؤرخ المغربي ابن عبد المَلِك المرّاكشي اطّلع على كتاب «الحُكيِّم» ونقل منه وذكر اسمه ما عرفنا شيئا يذكر عن هذا الكتاب، ولا أَن صاحبه يُعدُّ من المؤرخين النّسابين في الأندلس، فقد اوْرد مؤلف «الذيل والتكملة» في السّفر الأول الذي حقّقتُه منذ سنوات كلمة عن هذا الكتاب، وذلك أثناء ترجمة الفقيه القاضي النحْوي ابن مَضَاء القُرطبي وخلال الكلام على نسبه، قال : «فقد ذكر الحُكيِّم عبد الله بن عُبيد الله ـ توفي منتصف رمضان أحدٍ وأربعين ـ في كتابه الذي ذكر فيه الخلفاء، ومن تناسَل منهم بالأندلس، ومن سائر قريش، ومواليهم وأَهل الخدمة والتصرُّف لهم، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش، ومواليهم، ومشاهير قبائل البربر الذين احتلّوا الأندلس، ورفعه للناصر أبي المطرّف عبد الرحمن بن محمّد سنة ثلاثين وثلاثمائة»[7].

إني أعتبر أَنّ هذه الفقرة الاعتراضية كشْف تاريخي قيّم، فقد جعلتنا نقف على محتوى أَصلٍ من أُصول تاريخ الأندلس ومُدوَّنة من مدوّناته الأُولى، كما جعلتنا نزداد معرفة برائد من رُوّاد هذا التاريخ وواحد من رجاله المبكّرين، أغفل ذِكر كتابه القدماء، ولم يبلغ خبره المؤرخين المحدَثين الذين كتبوا في علم التاريخ والمؤرخين الأندلسيين.

يبدو من محتوى كتاب الحُكيِّم أنه مِثل كتاب أَحمد الرَّازي في أنساب مشاهير أَهل الأندلس الذي مدحه ابن حَزم وذكر أَنه يقع «في خمسة أَسفار»[8].

---

7) السِّفر الأول من «الذيل والتكملة»، ص : 213، تحقيق الدكتور محمد بنشَريفة، دار الثقافة، بيروت، 1959.

8) رسائل ابن حَزْم 2 : 184، ونفح الطِّيب 3 : 174، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

ولسنا نعرف لماذا لم يـذكر ابن حَزم كتـاب الحُكيِّم مثلمـا ذكر كتـاب الرّازي مع أَن الكتابين في موضوع واحد والمؤلِّفين من عصر واحد وطبقة واحـدة في السّنّ والعِلم، إذ تُوفي الرّازي في رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائـة وتوفي الحُكيِّم قبلـه بثلاث سنوات كما رأَينا، وأَما من حيث المستوى العلمي فـإننـا نلاحـظ أَن الحُكيِّم كان نظير الرّازي، وثمة تمـاثلٌ بين أَدواتها في ترجمتيهما المتجـاورتين في طبقـات الزبيْـدي - وهي مصـدر جميع الـذين ترجموا للرجُلين فيما بعـد - بـل إن الـزبيْـدي الـذي أَدركهما وصف أَحمـد الرازي بحفظ الأخبار بينما وصَف عبد الله الحُكيِّم بحفظ الأخبـار والأنسـاب، فكيف كتبت الشهرة لما ألف الرازي في الأنساب وسحبَ ذيلُ الخمول على مؤلف الحُكيِّم.

هل كان ذلك لتعصّبه الشّـديـد للقحطـانيـة كما وصفـه الزبيْـدي الـذي هو مَـذْحِجي قحطاني ؟، أم أَنّ كتاب الرازي كان أَكثر إتقاناً وتوثيقاً فاعتمده النـاس واستغنوا بـه عن كتـاب الحُكيِّم ؟، أم أَن الأمر لا يعـدو أَن يكون أَمر حـظّ - وحظـوظ الكتب كحظوظ البشَر متفـاوتـةٌ - فمن المؤلَّفـات مـا يرزق القبول والاستحسـان، ومنهـا مـا يكون نصيبه الإهمال والنسيان.

ومهما تكن الأسباب فقد ظلّ كتاب الحُكيِّم في الأنساب منسيـاً طَوال مـا يقرب من أربعـة قرون إلى أن وجـدنـا خَبره لأَول مرّة عنـد ابن عبـد الملـك الـذي كان واسـع الاطلاع على ذخائر المكتبة الأندلسية، كثيرَ الوقوف على نوادرها وشواردها حتى لقـد تيسّر له في هذا مـا لم يتيسّر لغيره. وذلـك بفضل بحثـه الطويل وتنقيبـه الكثير عن المخطوطات وقُربه من خزانة الموحّدين الكبرى في مرّاكش التي انتهى إليهـا كثير من خزائن الأندلس والمغرب.

لقد استعمل ابن عبد الملك كتاب الحُكيِّم وانتفع به في تحقيق أنساب بعض من ترجم لهم، وبلغت إشـاراتـه إليـه في الأسفـار الموجودة ستّ مرّات، وقـد يكون أَشـار إليـه مرّات أُخرى في الأسفار المفقودة.

في الإشارة الأُولى من هذه الإشارات ذكر مؤلّف «الذيل والتكملة» ـ كما رأينا ـ اسم الحُكيِّم واسم أَبيه وشهرته وتاريخ تقديمه كتابه إلى الخليفة الناصر وتاريخ وفاته ومحتوى كتابه.

وفي إشارة ثانية عرّفَنا بكنيته فقال : «وقد ذكر أَبو محمّد بن عُبيد الله الحُكيِّم[9]»، بينما اكتفى في الإشارات الأُخرى إليه بشهرة الحُكيِّم.

ونحن نقدّر أَن ابن عبد الملك عقد لهذا المؤلف ترجمة في «الذيل والتكملة» وذلك باعتباره ممّن يستدرك على ابن الفَرضي وابن بَشْكوال، كما فعل ابن الأبّار، ونرجّح أَن تكون ترجمة الحُكيِّم عند ابن عبد الملك أَوسع من الترجمة التي وردت في «التكملة» والتي رأينا أَنها مأخوذة من طبقات الزبيْدي، ونحن نعرف بالموازنة بين تراجم «التكملة» ونظائرها في «الذيل» أَن هذه تشتمل في الأغلب الأعمّ على مزيد من المعلومات والتفصيلات.

ونظن أَن ابن عبد الملك وجد في كتاب الأنساب للحُكيِّم الذي كان بين يديه ما يتوسع به في ترجمة الرجُل. ومع الأسف الشّديد، فإن هذه الترجمة لم تصل إلينا، ذلك أَن النسخة الوحيدة من السِّفر الرّابع من «الذيل والتكملة» المحفوظة في «الإِسْكُورْيَال» هي نسخة ناقصة ومبتورة. والمفترض أَن ترجمة عبد الله الحُكيِّم هي من بين تراجم العبَادِلة التي ذهب بها البتر في النّسْخَة المذكورة، ومن سوء الحظ أَن السّيُوطي الذي ينقل أَحياناً ـ ولو بتصرّف ـ تراجم بعض اللّغويين عن ابن عبد الملك في بُغية الوُعَاة لم تَرِد عنده ترجمة الحُكيِّم.

وفي انتظار ظهور الترجمة المشار إليها عند ابن عبد الملك أو ظهور غيرها، تبقى المعلومات التي ذكرناها حول الحُكيِّم هي كلّ ما لدينا الآن.

---

9) الذيل والتكملة 6 : 208، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1973.

هذا وعندنا من معاصري الحُكيِّم النسّابة شخص اسمه أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل القرطبي يعرف بالحُكيِّم أو الحَكِيم، وهو نَحْوي أدب الحكم المستنصر وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة عن ثمانين سنة[10]، ولا نعرف هل له صلة قرابة بنسابتنا أم لا، وقد ترجم له الزبيْدي وعَنْون ترجمته كما عنون ترجمة عبد الله بشهرة الحُكيِّم، ولم يضبطها في الحالتين، وترجم له ابن الفرضي كذلك بدون ضبطٍ للفظ الشهرة، ولكنها وردت مشكولة بالحركات في نسخة السِّفر السّادس من «الذيل والتكملة» الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس[11]، حيث شُكلت كلمة الحُكيِّم شكلاً واضحاً بضمّ الحاء وفتح الكاف وكسر الياء المشدّدة مع صورة ح تحت حرف الحاء ووضعَ كلمة صحّ فوق الكلمة، وهذا من منتهى الضبط والتحقيق في هذه النسخة المَرْوية عن المؤلّف بسَند تلميذه الضابط التجيبي صاحب البرنامج والرّحلة المعروفين.

يظهر إذن من اشتراك هذين الرجُلين المتعاصرين في هذه الشهرة أَنها من أسرة واحدة، وأَن بينهما قرابة، ولكننا لا نتبيّن وَجْهَها ولا درجتها لأَن نسَب كلّ واحد منهما يقف عند والده.

وقد كانت أسرة الحُكيِّم القرطبية مُقرّبة من عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، فعبد الله الحُكيِّم النسابة المؤرخ موضوع مقالتنا رفع كتابه إلى الناصر حسب كلام ابن عبد الملك السّالف الذكر، وقريبه ـ فيما نقدر ـ الحُكيِّم النحوي له شِعر في مدح الناصر، وَرَدَ في المقتبس[12]، وكان مؤدّباً لولده الحكم، ومن أَجل هذا

10) توجد ترجمته في طبقات الزبيْدي : 300 ـ 301 وابن الفَرضي 2 : 54 وطبقات صَاعِد : 75 والوافي بالوفيات 2 : 210 ومعجم الأدباء 18 : 30 وإنباه الرواة 3 : 65 ـ 66 والبلغة للفيروز أَبادى : 210 وبغية الوعاة 1 : 55 وله شِعر، وذكر في المقتبس لابن حيان 5 : 35، 58 والتشبيهات لابن الكتّاني : 35.

11) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم : 3156، ورقة 49.

12) المقتبس 5 : 35.

وذاك أثابه بتقديم ولده على خزانة المال كما قال الزبيْدي، بيد أنَّ هـذا الولـد ـ الـذي لا نعرف اسمه ـ غير مذكور في المدوَّنات التاريخية الموجودة.

وإذا ثَبَت أَن بين عبد الله الحُكيِّم ومحمّد بن إسماعيل الحكيم قرابة، فقد تكون «النحوي» التي عرف بها الأخير نسبة لا إلى النحْو الذي كان يؤدّب به، ولكن إلى نَحْو بن شَمْس، بَطنٍ من الأزْد، أي أَنّ النَّحْوِي نِسبة إلى القبيل الأزدي، وليس إلى الصَّنْعَةِ والحِرفة.

وقد ذكر ابن الفَرضي ـ وهو أَزْدي قُرطبي ـ عدداً من الأزْدِيين القرطبيين، ولكننا لم نَرَ بينهم من له علاقة بهذين الرجُلين[13].

هذا ولم يفسِّر الزبيْدي ولا غيره سبب شهرة الحُكيِّم التي عرف بها كلّ منهما، ومن المعروف أَنها صيغة تصغير للحَكِيم، وهذه تطلق على من يتعاطى علوم الحكمة، ومن ضمنها المنطق والحساب : فأَما الحُكيِّم محمد بن إسماعيل فقد «كان الغاية في عِلم العربيّة والحساب والمنطق، وكان دقيق النظر لطيف الاستخراج صحيح الخاطر، ولم يكن أَحد من أَهل زمانه يتقدمه في علمه ونظره»، كما يقول الزبيْدي[14]، ولعلّه من أَجل هذا دُعي بالحكيم، بل إن القاضي صَاعِداً عدّه في الطبقة الأُولى من حكماء الأندلس فقال : «ومنهم محمّد بن إسماعيل المعروف بالحُكيِّم، كان عالماً بالحساب والمنطق دقيق الذّهن، لطيف الخاصر، وكان مع ذلك نَحوياً لُغوياً»[15].

13) ابن الفرضي 1 : 56. 264.
14) طبقات النحويين واللّغويين : 300.
15) طبقات الأمم : 75.

وأما الحُكيِّم عبد الله موضوع هذه المقالة فلم يذكره الزبيْدي وابن الأبّار إلاّ بمعرفة اللّغة والأخبار والأنساب وقرض الشِّعر، ولكن القِفْطي يقول في ترجمة مَن اسمه عبد الله بن عبد الله (أَو عبيد الله) الأندلسي ما نّصه :

«كان عالماً بالنحْو واللّغة، إماماً فيهما، عالماً بالعدد والهندسة... يُنسب إليه عِلم صناعة الكيمياء، وكان الحَكَم المستنصر يعظّمه ويوقره[16]». ويقف في وجه اعتبار هذه الترجمة منطبقة على صاحبنا وموضحة لشهرته أَنّ اسم هذا المترجم عند القِفْطي وَرد في طبقات صَاعِد هكذا : «عبد الله بن محّمد[17]...». وعن الطبقات نَقَل القِفطي.

ويبقى مع هذا أَن نتساءل هل شهرة الحُكيِّم شهرة شخصية أم شهرة عائلية ؟

وإذا كانت شهرةً شخصيةً فإننا لا نستبعد أَيضاً أَن تكون شهرة محّمد بن إسماعيل بالتكبير ما دامت شهرة عبد الله بالتصغير كما نص على ذلك ابن الأبّار، وذلك للتفرقة بين الرجُلين أَو للتميز بين مقداريهما في الحكمة.

نعود بعد هذا إلى كتاب الحُكيِّم لنبحثُ في عنوانه ومحتواه وموضوعه وطبيعته من خلال النقول القليلة الباقية منه.

فأَما العنوان فيُستفاد مِمّا ورد في «الذيل والتكملة» أَنه كالآتي : «كتاب في أَنساب الدّاخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم»[18].

16) إنباه الرواة 2 : 121 وفيها : عبد الله بن عبد الله الأندلسي المعروف بالبرقي (؟).

17) طبقات الأمم : 77 وفيها : عبد الله بن محمد المعروف بالسري (؟) وربما كانت هذه النسبة والتي قبلها محرفة عن المَسرّى نسبة إلى ابن مَسَرّة، ويقارن هذا الاسم والذي قبله باسم عثمان بن محمد الأزدي القري (؟)، وهو منجّم، ومؤلّف كتاب في فقهاء الأندلس. (ابن الفَرضي 1 : 349 ـ 350 والقري في هذا الاسم تبدو محرفة كما في الاسْمين السّابقين).

18) الذيل والتكملة 6 : 208.

وبهذا العنوان وقع النقل عنه في السِّفر السادس من الكتاب المذكور، وهو ـ كما أشرنا من قبل ـ شبيه بعنوان كتاب معاصره أَحمد الرّازي في الموضوع : «كتاب في أنساب مشاهير أَهل الأندلس»، كما سمّاه ابن حَزم[19]، وهو المسمّى أَيضا بالاستيعاب الذي جمعه للناصِر أَيضاً. وبهذا الإسم المختصر نقل عنه ابن الأبّار وابن عبد المَلك وغيرهما، وبه أَيضا ذكر عند حَاجّي خَلِيفة وغيره[20].

ولسنا نعرف متى فرغ الرّازي الأوسط من تأليف كتابه. أَما الحُكيّم فقد فرغ من مؤلّفه ورفعه إلى الناصر سنة ثلاثين وثلاثمائة، وقد نفهم من هذا أَنه ألّفه بأَمر من الخليفة الناصر، وهو على أَي حال يدخل في إطار حركة التدوين الكبرى التي برزت في أعقاب نهاية المنتزين وبداية الخلافة. وكان التاريخ على اختلاف فروعه مِحْور هذه الحركة فوُضعت مدوّناتٌ إخبارية إمّا عامّة تشمل الأندلس كلّها أَو إقليمية تقتصر على مدينة بعَيْنها، وأُلّفت كتب طبقات متنوعة للفقهاء والشّعراء والحكماء والنحويين واللّغويين، وظهرت مؤلَّفات في أَنساب أَهل الأندلس، ومنها ما ألّفه أَحمد الرّازي وعبد الله الحُكيِّم.

لقد ذكر ابن حَزم أَنّ كتاب الرّازي يقع «في خمسة أسفار ضخمة»، أَما كتاب الحُكيِّم فليست لدينا فكرة عن حجمه، ولعلّه لم يكن يقلّ عن حجم نظيره.

وإذا كنا لا نملك أَي نّص عن محتوى «أَنساب الرّازي» ومخطّطه ومنهجه، فإنّ فقرة ابن عبد الملك التي أوردناها تسعفنا في معرفة محتوى «أَنساب الحُكيِّم» ومخطّطه ومنهجه، فهذا الكتاب حسب تلك الفقرة يتألّف من الأقسام التالية :

---

19) رسائل ابن حَزم 2 : 184، تحقيق الدكتور إحسان عباس ونفح الطِّيب 3 : 174.

20) انظر الحُلّة السيراء، 1 : 68، 245 / 2 : 366، وكشْف الظنون وبونس بويجس رقم 23.

1) ـ الخلفاء، ولسنا ندري هل اقتصر في هذا القسم على الأُمَويين في الأندلس بدءاً بعبد الرحمن الداخل حتى عبد الرحمن الناصر، أَم أَنه ذكر أيضاً الأُمويين بالمشرق والعباسيين والعَلَويين، كما فعل ابن حَزم من بعده في «الجَمْهَرة».

2) ـ أَولاد الخلفاء ونسْلهم بالأندلس : ولا بدّ أَنه ذكر في هذا القسم ولَد عبد الرحمن بن معاوية ومَن جاء بعده حتى عهد عبد الرحمن الناصر، ولعلّه ذكر في هذا القسم أَيضا أَولاد الخُلفاء الأُمويين بالمشرق ومن دخل منهم إلى الأندلس وأنجب بها.

3) ـ سائر قُرَيش : ويدخل تحت هذا العنوان بَنُو زُهره وبنو تَيم وبنو مَخْزوم وبنو عَدِي وبنو جُمَح والفِهْريون.

4) ـ موالي الأُمويين وسائر قريش : وكانوا من الكثرة في الأندلس بحيث إن الرّازي أَحمد خصّهم بكتاب مستقلّ، وتُعنَى كتب التراجم الأَندلسية بتعيين هؤلاء المَوالي وتحديد ولائهم اعتماداً على الرّازي وغيره.

وينفرد ابن عبد الملك بالرّجوع إلى كتاب «الحُكيِّم» في بعض الحالات.

وكان مَوالي الأُمويين وسائر القُرَشيين على درجتين : شامِيّين وبلَديين، وكان الشّاميون أرفع درجة من البلديين، وفي هذا يقول الأمير عبد الله الأَمَوي :

مَوالي قريشٍ من قريشٍ فقدّموا　　مَوالي قريشٍ لا مَوالي مُعَتِّب (مغيث)
إذا كان مولانا يُساويهِ عندنا　　سواءً فمولانا كآخر أَجنَبي[21]

21) الحُلّة السيراء، 1 : 121. وقيمها يساوم ولا معنى لها، وصوابها ما ذكرنا.

5) - أَهل الخدمة والتصرّف للأمويين : لعلّه يقصد بهم الوزراء والحجّاب والعمّال والقُوّاد والقضاة وغيرهم. ومن المعروف أَن جلّ هؤلاء كانوا من مَوالي الخلفاء الأمويين بالمشرق والأندلس، أَو من موالي أَولادهم وبناتهم[22]، ومنهم على سبيل المثال بيوتات بني حدير وبني أَبي عبده وبني شهيد وبني فُطَيْس وبني عبد الرّؤوف وبني بسيل وبني غانم وبني رستم وبني الزجالي وبني وانسوس وبني الخليع وغيرهم. وقد خَصَّ عيسى الرّازي كلاّ من الحجّاب والوزراء بتأليف مستقلّ برسم المنصور بن أَبي عامر[23].

6) - مشاهير العرب الدّاخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش.

ويندرج في هذا القسم سائر الدّاخلين إلى الأندلس من أَبناء القبائل القَيْسية واليَمنية، وعددهم كبير. ويُفهم من بعض النقول عن الحُكيِّم أَنه ذكر أَوائل الداخلين منهم وعيَّن منازلهم بالأندلس وساق أَنسابهم وسمّى مشاهيرهم وأعيانهم.

7) - مَوالي العرب غير القُرَشيين : ونقف في كتب التراجم على عدد منهم.

8) - مشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الأندلس : ولا بدّ أَنه تكلّم في هذا القسم الأخير على أَشهر القبائل البربرية التي دخلت الأندلس منذ الفتح حتى عهده، وتتبع المنازل التي نزلت بها في مختلف أرجاء الأندلس.

هذا هو التصميم العام لكتاب الحُكيِّم المفقود كما يؤخذ من وصفه لدى ابن عبد الملك، ونحن نجد ما يقرب من هذا التصميم في «جَمهرة أَنساب العرب» لابن حزم، فقد

22) كان القاضي عمرو بن عبد الله المعروف بالقبعة مولى لإحدى بنات الأمير عبد الرحمن بن معاوية (ابن الفرضي، 1 : 363) وكان جدّ بني مزين مولى لرملة بنت عثمان بن عفّان، (المصدر نفسه، 2 : 178).

23) الذيل والتكملة، 5 : 491.

صدّرها بأنساب الخلفاء وأبناء الخلفاء، وجعل في أواخرها جمهرة من أَنساب البربر وبيوتاتهم في الأندلس. والجمهرة كتاب عامّ في أَنساب العرب وغيرهم، ولكن ابن حَزم يشير في تضاعيف هذه الأنساب إلى الموجود منها بالأندلس وإلى ديار أصحابها ومنازلهم.

وبهذا يتميّز ابن حَزم عن غيره من الأندلسيين الذين ألّفوا في الأنساب في عصره كابن عبد البرّ (ت 462) الذي بَنَى عملَه على الاختصار في كتابيه : «القصد والأَمَم، في التعريف بأُصول أَنساب العرب والعجم»، و«الإنباه، على قبائل الرّواه».

ولا يشبه ابن حزم في الالتفات إلى ما يرجع إلى الأندلس في الأنساب إلاّ الرّشاطي (ت 542 هـ)، الذي يشتمل كتابه الجليل على فوائد قيّمة في تاريخ الأندلس وجغرافيتها وأَعلامها حسب القطع التي وصلت إلينا من «اقتباس الأنوار»، وهي ما تزال مخطوطة، وفي حالة غير جيّدة، أَعان الله من يقوم على إخراجها[24].

كما أَن ابن غالب نمّى رصيد الأنساب العربيّة في الأندلس، ودوَّن المشهور منها في وقته، وهو القرن السّادس، وعن «فرحة الأنفس» نقل المقري تلك المقتطفات الموجودة في نَفح الطِّيب[25].

نظن أَن كتابَيِ الحُكيّم والرّازي في الأنساب كانا من مصادر ابن حَزم فيما يخصّ أَنساب الأندلسيين ومواطن نزولهم واستقرارهم، ولو أَنه لا يشير إلى مستنده في هذا مع أَنه في عموم الأنساب العربيّة يُسمّي النّسابين المشهورين الذين رَوَى عنهم.

24) انظر ما كتبتُه حول اقتباس الأنوار في الذيل والتكملة، 1 : 274 ويهتمّ بهذا الكتاب منذ زمن الأستاذ بوش ڤيلا.

25) نفح الطِّيب، 1 : 289 ـ 290، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

هذا ونضيف إلى ما قلناه عن تصميم كتاب الحُكيِّم أَن كلّ قسم من أَقسامه الثمانية المذكورة يشتمل على عناوين فرعية، وقد عبّر عنها ابن عبد الملك بالرسوم، أَي التراجم على غرار التراجم في كتب الطبقات أَو المواد في المعجمات، فهو على سبيل المثال يفرد رسماً أي عنواناً هكذا :

- المعافر -

ويذكر تحته المنسوبين إلى هذا القبيل بالأندلس، وأَين ينزلون، وقد نقل ابن عبد الملك من «رسم المعافر بقرطبة» ما يلي : «منهم بيت محمّد بن بشير القاضي، ولهم بقيّة، وبيت بني شراحيل، وهم أَصهار بني بشير، وكانوا أَهل صلاح ولهم بقيّة»[26].

وبطبيعة الحال، فقد اقتصر ابن عبد الملك على هذا لأَنه محلّ الشّاهد عنده وإلاّ فقد يكون الحُكيِّم ذكر غير بني بشير، وبني شراحيل من المعافريين القرطبيين وغيرهم في زمنه كآل عامر، سلف المنصور وبيت بني جَحّاف ببلَنْسية وبيت بني مفوز بشاطبة[27].

قلنا إن ابن عبد الملك أَشار إلى الحُكيِّم في الأسفار الموجودة ستّ مرّات ونعددها فيما يلي :

26) الذيل والتكملة، 6 : 208. وانظر ترجمة عمرو بن شراحيل عند ابن الفرضي 1 : 362 حيث ورد فيها : «قال قاسم بن أَصبغ : عمرو بن شراحيل هذا هو جدّ بني شراحيل هؤلاء الذين عندنا (يَعني بقرطبة)». وراجع أَيضا ترجمة بشير بن شراحيل في المصدر نفسه ص 192.

27) انظر جَمهرة ابن حَزم : 418، وقد تسلسل الفقه والقضاء في بني جحاف وبني مفوز حتى خروج المسلمين من شرق الأندلس كما يُستفاد من كتب التراجم.

1) - في ترجمة أحمد بن عبد الله بن يحي بن يحي الليثي، حفيد كبير المالكية في وقته وتلميذ الإمام مالِك وراوية كتابه المُوطّأ.

قال ابن عبد الملك في سياق الحديث عن الولاء اللّيثي لهذه الأسرة البربرية : «وقال الحُكيِّم : يتولون بني ليث من كِنانة، وقيل نزلوا منزل بني ليث فنسبوا إليه»[28].

2) - في ترجمة أحمد ابن مَضَاء القرطبي صاحب الآراء المعروفة في النحْو.

في هذه الترجمة وردت الفقرة الاعتراضية عن الحُكيِّم وكتابه، وهي التي حللناها فيما سبق، وقد جاء بعدها ما يلي، فذكر، أي الحُكيِّم، أن بجيان من لخم بيت مهند بن عمير، قال : «وهم هناك جماعة أهل فضل ودين، ولهم فُرسان شجعان بلَديون، منهم عبد الرحمن بن وافد بن عبد الرحمن بن يحي بن حرب بن يحي بن مهند القسّام، ومنهم النجَاشي بن حريث بن عاصم بن مَضَاء بن مهند»[29].

28) الذيل والتكملة، 1 : 190 ونجد بعد هذه الفقرة ما يلي : «والداخل إلى الأندلس من عَقِبهِ كثير، المذكور وأخوه يَزيد، وهو المتوجّه من قِبل عبد الرحمن بن معاوية إلى عمّاته بالشام حين استوسق له الأمر بالأندلس، ومات ولم يعقّب، وقيل إن المتوجّه إليها كثير. والله أعلم». ولسنا متأكدين أن هذا الكلام مما نقله ابن عبد الملك عن الحُكيِّم، وإن جاء في سياق النقل. ولا بأس أن ننقل هنا ما جاء في ترجمة يحي بن يحي اللّيثي في أخبار الفقهاء والمحدّثين لمحمد بن حارث الخشني قال : «وهي يحي بن يحي ابن كثير ويحي أبوه هو المعروف بأبي عيسى، أصله من البربر، ويتولّى بني ليث وذكر أبو عبد الله القاضي محمد بن عبد الله ابن أبي عيسى أن الإمام عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله لقي في طريقه يحي بن كثير المعروف بابن الحداء، فقدمه بكتب إلى قرطبة ثم وجّهه إلى الشّام ثم ولاّه الجزيرة، وقَبْره هناك». وراجع على الخصوص الأخبار الواردة في السِّفر الذي حققه الدكتور محمود مكّي من المقتبس مع الحواشي الواردة في الصفحات التالية : 465، 480، 494، 542.

29) الذيل والتكملة، 1 : 213، وقد ذكر ابن حَزم في الجمهرة : 424 أن دار لَخم بالأندلس هي شذُونه والجزيرة وإشبيلية وعدّ من اللخْميين آل عباد وآل نمارة ثم قال : «ومنهم حجاج، وسيّد، وحبيب، ومحمد، بنو عمير بن حبيب بن عمير»، ورفع النسب إلى لخْم. ويبدو أن محمد محرّفة عن مهنّد، وينبغي أن يكون هو مهند بن عمير الذي أشار الحُكيِّم إلى استقرار بيته بجيّان، ولم يُشر ابن حزم إلى هذا، ولعلّ أبناء مهنّد انتقلوا إلى جيّان بعد زوال أيام بني حجاج أبناء عمومتهم. وانظر كذلك نفح الطِّيب، 1 : 295 - 296.

3) - في ترجمة أَبي الحسن اللّونقة، تلميذ ابن وافِد الطبيب المعروف وخلفه في الطبّ.

أثبت ابن عبد الملك نسبه مرفوعاً إلى سَعد بن عُبادة الخزْرجي الصحابي الجليل وقال : «كذا نقلتُ نسَبَه من خطّ غير واحد من عقِبه، وأرى فيه تخليطاً وأنه ليس من ذرّية قيس بن سعد بن عبادة وإنما هو من ذرّية سعيد بن سعد بن عبادة، فقد ذكر أبو محمد بن حَزم في جماهر النسَب أَن لسعيد بن سعد هذا عقِباً بالأندلس بقرية يقال لها قرملان من عَمَل سرقُسطه من قبل الحسين بن يحي بن سعيد بن سعد بن عبادة، ولذلك أرى أَن إقحامَ قيس بين سعيد وسعْد وَهْمٌ والله أعلم. وأَيضا فإن عُبادَة الشّاعر بن ماء السماء من هذا البيت، وهو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عباده بن أفلح بن الحسين، فأفلح مقدَّم على الحسين في هذا النسب وعكسه في نسب على المترجم به.

وقد ذكر الحُكيِّم أَن بسرقُسطة بيت الحسين بن يحي الثائر بها، وهو الحسين بن يحي ابن سعيد بن سعد بن عبادة.

قال، أَي الحُكيِّم : «ومن أَهله عبادة بن أفلح بن سعيد بن يحي بن سعيد بن سعد».

قال المصنّف عفا الله عنه : «وعبادة هذا هو أَبو جدّ عُبادة الشّاعر، ولم يذكر الحسين بالأفلح ولا ابناً له»[30].

4) - في ترجمة قطن بن خزز، مَبْحث في نسَبه ونسَب ولَده بشْر ومكان قضائه، وجاء في آخر هذا المبحث ما يلي : «وقال الحُكيِّم إنه ولي قضاء جيّان»[31].

30) الذيل والتكملة، 5 : 250. والجمهرة : 365. ونفح الطيب، 1 : 294.

31) الذيل والتكملة، 5 : 574. والجمهرة : 233. وقُضاة قُرطبة : 67.

5) - في ترجمة أَبي بكر ابن سيّد الناس مؤسّس الأُسرة الأندلسية التي اشتهرت بتونس ثم بمِصْر.

رفع ابن عبد الملك نَسَبَهُ إلى عدنان ثم قال : «وسَلَفُهُ ناقِلَةٌ من منبج، وقد ذكر أَبو محمد بن عبيد الله الحُكيِّم منهم أَبا الوليد بن منذر المذكور ورفع نسبه إلى يعمر بن مالك، كما أَثبتناه»، والنسب الذي أثبته نقلاً عن الحُكيِّم هو : أَبو الوليد بن مُنذر بن عبد الجبار بن سليمان بن عبد العزيز بن حرب بن محمد بن حسّان بن سعد بن عبد الرحيم بن خلَف بن يعمُر بن مالك[32].

6) - في ترجمة محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل مبْحث في هذا النسَب رجع فيه المؤلّف إلى عدد من المؤرخين والنّسابين، وقد أشرنا إلى هذا الموضع فيما سبق وسنعود إليه[33].

لا نظن أَنّ نُقول ابن عبد الملك عن الحُكيِّم محصورة فيما ذكرناه، إذ من الممكن أَنه نقَل عنه في الأسفار المفقودة، ويبدو أَنه انتفع به في أَنساب بعض مترجميه، ولم يذكره.

لقد تساءلت في مقدمة هذا العرض عن السرّ في انفراد المؤرخ المرّاكشي بذكر الحُكيِّم والنقل عنه وعزوْت ذلك إلى تبحّره وسَعة اطّلاعه ووقوفه على ما لم يقف عليه غيره، وأضيف إلى ذلك أَنه كان مُعتنياً بالأنساب مولعاً بتحقيقها، فلا غرابة إذن إذا بذل غاية جهده في جمع كلّ ما كتب فيها حتى زمنه، وقد بدا أَثر ذلك في منهجه الذي يتميز برفع قعدد المترجم، في الكثير، حتى أَوّل داخل إلى الأندلس، وأحيانا إلى

---

32) الذيل والتكملة، 5 : 293. والجمهرة : 293.

33) الذيل والتكملة، 6 : 208.

أعلى جدّ في نَسبه. كما بدا أَيضاً في تصويباته الكثيرة، واستدراكاته العديدة. وللدلالة على سَعة اطلاع الرجُل، نسوق الترجمة الآتية كمثال على ذلك :

«محمّد بن سعيد بن بشير بن شراحيل».
كذا نسبه أبو مروان ابن حيان.
وقال فيه ابن شعبان : محمد بن بشير بن سرافيل.
وقال ابن الفرضي في بعض معلّقاته : محمد بن بشير بن محمد.
وقالا (أَي شعبان وابن الفَرضي) : المَعافري.
وقال أَبو عبد الملك أَحمد بن محمد بن عبد البرّ : محمد بن بشير المعافري، وكنّاه أَبا بكْر.
وقال ابن حارث : محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري.
وقال خالد بن سعد في ترجمة : محمد بن سعيد بن بشير..
وقال بعد تراجم كثيرة : محمد بن بشير... فظنّ به أَنهما عنده رجلان، وذكر الأول مختَصرا واحتفل في ذكر الثاني، ويظهر أَنهما واحد كررهما غلطا، والله أعلم.

ثم نسبته إلى شراحيل فيها نظر، فقد ذكر عبد الله الحُكيِّم في كتابه في أَنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم في رسم المعافر بقرطبة : منهم بيتُ محمد بن بشير القاضي، ولهم بقية، وبيت بني شراحيل، وهم أصهار بني بشير، وكانوا أَهل صلاح، ولهم بقية.

ويمكن عندي أَن يكونا رجُلين : أَحدهما محمّد بن بشير بن محمّد كما قال ابن الفَرضي، والثاني محمّد بن سعيد بن بشير كما قال ابن حيان وابن حارث والسالمي. وعلى الجملة فتحقيقه مما أشكل، فاجعله منك على ذكر»[34].

34) الذيل والتكملة، 6 : 208 والتكملة لابن الأبّار : 355.

كما نرى في هذه الترجمة، لكي يحقّق ابن عبد الملك اسم هذا المترجم وسلسلة نسَبه رجع إلى ما كتبه ثمانية من المؤرخين وهم :

1) ـ أَبو مروان ابن حيّان في كتابه «المُقتبس»(35).

2) ـ أَبو إسحاق محمد بن شعبان في مؤلّفه «كتاب الرُّواة عن مالك»(36).

3) ـ ابن الفَرضي في بعض معلّقاته(37).

4) ـ أَبو عبد الملك أَحمد بن محمد بن عبد البرّ في كتابه «فقهاء قرطبة»(38).

5) ـ أَبو عبد الله محمد بن حارث الخشني(39).

6) ـ خالد بن سعد وله كتاب في رجال الأندلس أَلّفه للحَكَم المستنصر، اعتمد عليه ابن الفَرضي كثيراً، وهو الذي أَشار إليه المؤلِّف هنا وكان تحت يَده(40)، بينما نرى ابن الأبّار ينقل عنه هنا بواسطة ابن حارث.

7) ـ أَبو عامر السالمي في كتابه «دُرر القَلائد». وقد كان ابن عبد الملك يمتلك نسخة منه بخط مؤلِّفه(41).

8) ـ عبد الله الحُكيِّم موضوع هذا المقال : ومن هنا نُكوِّن فكرة عن المكتبة التاريخية الضخمة التي أتيحت لهذا المؤرخ الكبير، وهي المكتبة التي تأسّست مع

35) في التكملة : 355 أَنه ذكرهُ في انتخابه من أَخبار القُضاة، وقد ظنّ بعضهم أَن هذا اسم مؤلَّف من مؤلَّفات ابن حيان، كما يوهمه كلام ابن الأبّار، وعبارة ابن عبد الملك تقطع بأَنه عنوان في المُقتبس، وهذا يؤكّد ما استنتجه مَحْمود مكّي في مقدمته الممتازة للمقتبس : 72 ـ 73.

36) ترجمة ابن شعبان المالكي المصري في الديبَاج : 231، وحُسْن المُحاضرة، 1 : 141.

37) أي أنه لم يترجم له في تاريخه، وإنما ترجم فيه لسعيد بن محمد بن بشير (انظر : ج 1، ص : 192).

38) ترجمة أَحمد بن عبد البرّ عند ابن الفَرضي، 1 : 50 والحُلّة السيراء، 1 : 207 ـ 208 وبونس بويجس، 58 ـ 59، وينقل عنه ابن حيان وابن الفَرضي وابن سعيد.

39) انظر قضاة قُرطبة : 54 ـ 55.

40) ترجمة خالد بن سعد عند ابن الفرضي، 1 : 154 ـ 156.

41) انظر الذيل والتكملة، 6 : 7 ـ 11.

تأسيس مدينة مرّاكش وقيام المرابطين واستمرت في النمّو والتضخّم حتى نهاية الموّحِدين، ومن هذه المكتبة نَهَل المؤرخون المرّاكشيون ومنهم ابن الصيْرفي والبيْذق وابن صاحب الصَّلاة ويوسف بن عمر وعبد الواحد المرّاكُشي وآخرون[42].

لا نستطيع أَن نتكهّن بمآل النسخة التي اطّلع عليها ابن عبد الملك من كتاب الحُكيِّم، ولكننا لم نقف على أيّ خبر له عند من جاء بعده، ولذلك فإنه يظلّ الشاهد الوحيد حتى الآن على وجود هذا الكتاب.

لقد طال الزمن وبعُد العهد بالمدوّنات التاريخية التي أُلِّفت لعبد الرحمن الناصر والحَكم المستنصر كمؤلفات الحُكيِّم والرّازي وابن النظام وابن سعدان وخالد بن سعد وعَريب وإسحاق بن سَلَمَة القَيْنِي والأُقُشْتِين وابن عبد الرؤوف والشَّبانِسي وغيرهم، ولكن الأمل لم ينقطع تماماً من ظهور بعضها، ولقد تأثر رواج هذه الكتب بسبب المؤلفات التي ظهرت بعدها، ولكأنَّ المؤلَّفات تخضع هي أَيضا لقانون التطوّر والارتقاء وناموس النسْخ والانتقاء، وفي عصور النسخ اليدَوي كثيراً ما نَسخت الكتبُ الجديدة الكتبَ القديمة وعفّت اللاّحقة على السابقة، فابن حيّان مثلاً ضمّن كتابه «المقتبس» معظَم أَعمال سلَفه من المؤرخين وزاد عليها ووصلها إلى وقته فأغنى عن تلك الأعمال. وكذلك غطّى من جاء بعده على أَعمال من سبقهم، وهكذا دواليك، كما كان للتلاخيص التي وضعها مجهولون أو معروفون أَثرٌ سلبي على بقاء الأُصول الملخّصة واستمرارها مثل أَخبار مجموعة وقطعة أَخبار عبد الرحمن الناصر ومجموع ذِكر بلاد الأَندلس الذي حقّق نَصّه العربي وترجمه أَخيراً الدكتور لُويسْ مُولِينَا.

ومع أَننا نحسّ أَحياناً أَنه كلّما بعُد زمن النصّ عن زمننا، كلّما ضعُف الأمل في بقائه، فما زِلنا نفاجأ بين الحين والحين بظهور بعض هذه الأُصول المفقودة، وقد ظهر

42) انظر مقدمة السِّفر الثامن من الذيل والتكملة، ص : 77.

بالفعل شيء منها ونشر في السنوات الأخيرة، فلقد ظهرت في الخزانة الحَسنية العامِرة ـ على سبيل المثال ـ نسخة من كتاب أَخبار الفقهاء والمحدّثين لمحمد بن حارث، كتبت عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، والسِّفر الخامس من المقتبس الذي نشر بعناية الزّملاء السادة : شَالْميتا وكُورينْت وصبح. وصدر عن المعهد الإسباني للثقافة العربيّة بمَدْريد وكلّية الآداب بالرِّباط، وعندنا دائماً أَمل في أَننا ربما نعثر على ما لم نكن نطمع في العثور عليه، وإن للخزائن المغربيّة لفضلاً كبيراً في نقل الكثير من تراث الأندلس إلينا برغم آثار القِدم وعوادي الزمن وعوامل التلَف، إذ لا يخفى أَن جلّ ما نُشر من هذا التراث تعود مخطوطاته إلى الخزائن المغربيّة وما يزال الكثير من مكنوناتها ينتظر النشر.

إنّ هدفي من هذا المقال السّريع المتواضع الذي أُعدَّ على عجل هو لَفْت أَنظار أَساتذة التاريخ الأجلاء إلى الكتابة عن أَصحاب المصادر الأُولى المفقودة في تاريخ الأندلس ومراجعة القليل الذي كتب عنهم على ضوء النصوص المكتشفة والنقول الجديدة المقتبسة من مؤلفاتهم الضائعة، وأذكر على سبيل المثال أَن السِّفر الخامس من المقتبس يقدّم مادة جديدة عن بعض هؤلاء كأَبي عبد الله محمد بن مسعود صاحب الأنيق[43]، وأَبي عبد الحميد إسحاق بن سلمة القيني مؤلّف تاريخ مَالَقة وغيره من المؤلفات التاريخية، وقد كنا نظن أَن الحَزْميين أَبا المغيرة عبد الوهاب وأَبا محمد علي هما أَول من فتح باب الكتابة والتأليف في موضوع فضل الأندلس بالمعنى الفخْري الذي واصله ابن سعيد والقاضي الشقندِي، وإذا بنا نجد فقرة طريفة في الفخر بشعراء الأندلس نقَلها ابن حيان عن كتاب فَضْل الأندلس لإسحاق بن سلَمة[44] هذا الذي ما يزال التحريف يقع حتى في اسمه (مسلمة، سلمة، اللّيثي، القبشي، القيسي، القيني)[45]، وما عبد الله الحُكيِّم النسابة والمؤرخ المجهول موضوع هذا المقال إلاّ واحد من هؤلاء.

43) المقتبس، 5 : 9، 53، 200، 303.

44) المصدر نفسه، ص : 46.

45) جمعت مادة لكتابه مقالة موسّعة عن القيني.